خطبة الدكتور محمد حسين بك هيكل

المقتطف والحركة الفكرية والاجتماعية في الشرق

سيداتي وسادتي

اقف هذا الموقف كصحفي . وانا سعيد بذلك غاية السعادة. مغتبط به أكبر الغبطة. فللصحافة مهمة سامية تقوم بها .وهذه المهمة تزداد سموًّا كلما تجردت من مطامع المادة . لانها تصبح تضحية للحياة في سبيل خير الجماعة . واغتبطت بان اقف هذا الموقف لان حياتي الصحفية التي تمتد في الحقيقة الى ماضٍ غير قريب كان لها اتصال بمجلة المقتطف التي تحتفل اليوم بعيدها الخمسيني . وكانت في هذا الاتصال تعبر عن بعض خواطر في شأن الحركة الفكرية .لهذا كان طبيعيًّا ان احدثكم في هذا الحفل عن المقتطف في حركة الشرق الفكرية والاجتماعية . وان اقصر حديثي على الحركة الفكرية والاجتماعية

سيداتي وسادتي

ارجوكم ان تعودوا ببصائر اذهانكم الى خمسين سنة مضت : الى ذلك اليوم الذي بدأت فيه مجلة المقتطف حياتها . وان تذكروا ما كان من حياة الفكر في الشرق سنة ١٨٧٥ . وما كان من حياة الفكر في الغرب سنة ١٨٧٥ . وما كان بين الغرب والشرق يومئذٍ من صلات سياسية وغير سياسية . وارجوكم ان تتقدموا مع السنين قليلاً قليلاً وان تروا غزو الغرب للشرق في مختلف ميادين الحياة في العلم . والادب . والصناعة . والتجارة . وفي كل ميدان آخر .وان تصوروا لانفسكم ما وجب القيام به من الجهود لجعل الاتصال بين الغرب والشرق اثناء هذه الغزوات غير قاس . هنالك تقدرون ما كان للذين جاهدوا في منع الاصطدام بين القوتين الانسانيتين من فضل . وهنالك تذكرون بالخير من كان لهم في نشر افكارهما وفي تهذيبها وفي صقلها وفي تمحيصها ودفع الزائف منها . ثم هنالك ترون قدر الجهود الذي ينفقهُ صاحبهُ في غير جلبة ولا ضوضاء حين يجلس الى مكتبهِ وحيداً محاطاً بالمئات والالوف من اكبر الرؤوس التي قامت على تفكيرانها عمارة العالم وحضارتهُ . يناجي اصحاب هذه الرؤوس ويتفاهم واياهم من طريق كتبهم . ثم يبرز آراءهم ورأيهُ في آرائهم لمعاصر بهِ ممن يقرأون لغتهُ

في سنة ١٨٧٥ كانت امم الشرق الغربي ما تزال بعيدة بعض البعد عن غزو الحضارة الاوربية اياها غزواً شاملاً . وكان الاتصال بين الشرق والغرب ما يزال

مقصراً على بعض الصلات السياسية والفردية . لكن عيون اوربا كانت يومئذٍ مفتوحة واسعة محدقة الى هذا الشرق العربي تريد ان تحقق فيه اغراضاً لها وغايات . وكانت مصر من بين امم الشرق العربي لتهافت على الغرب تهافتاً ما نظن ساستها كانوا يقدرون مدى آثاره . ففي سنة ١٨٧٥ لتقرر انشاء المحاكم المختلطة في مصر وفي سنة ١٨٧٥ اشترت انكلترا اسهم قناة السويس من الخديو اسماعيل باشا وكذلك في سنة ١٨٧٥ كانت روسيا تحرش بتركيا تحرشاً انتهى الى الحرب الروسية التركية . وكانت افريقيا الشمالية كلها مطمح انظار فرنسا . وكان من شأن هذه الاتجاهات السياسية ان خلقت نوعاً من الصلة بين اوربا والشرق ظل ينمو ويتزايد وما زال ينمو ويتزايد الى وقتنا الحاضر

وفي سنة ١٨٧٥ كانت اوربا تموج بحركة فكرية قوية غاية القوة . فكانت النظريات العلمية والفلسفية القديمة قد اخذت تتهدم وتنهار امام الفلسفة الواقعية التي مكن لها اوجست كونت في فرنسا وقام بنشرها جون ستورات ميل وهربرت سبنسر في انكلترا . وكانت نظريات لامارك وداروين وغيرهما ذات شأن يذكر عند كثير من اصحاب هذه الفلسفة الواقعية . وكانت هذه النظريات وما ترتب عليها من حركة في العلم شديدة وما كان من اثر هذه الحركة من نشاط في الاختراع ترد الى الشرق عن طريق بعض الغربيين الذين اقاموا فيه زماناً طويلاً . وعن طريق بعض الشرقيين الذين تعلموا في المدارس الاوربية ونشأت افكارهم نشأة غربية

كان محتوماً مع هذا الاتصال المتزايد بين الشرق والغرب ، ومع هذه الحركة العلمية والفكرية والادبية الشديدة في الغرب ان تقابلها في الشرق حركة علمية وفكرية وادبية جديدة ، ولما كانت تطورات كلٍّ من ناحيتي الانسانية قد اختلفت قبل ذلك حد الاختلاف عن تطورات الناحية الاخرى فقد كان الاصطدام محتوماً . لكننا كان يهوّن من هذا الاصطدام ان يقوم جماعة بالتقريب بين الافكار التي يظن لاول وهلة ان لا سبيل الى التقريب بينها ، وان ينشر جماعة من دقائق علم الشرق وتفكيراته ما ييسر الاعتقاد بامكان التفاهم او بامكان التنافس بينه وبين الغرب تفاهماً يقرب بينهما او تنافساً يسوي بينهما

وهذا المجهود لا يقوم به فرد وحده بل هو في حاجة الى تعاون عدد كبير من الافراد وكلما كان تعاونهم وثيقاً كانت نتائجه مؤكدة وامكن خلق الجو الصالح للاحتكاك الفكري الذي يكفل ثبات هذه النتيجة . والتعاون لا يتأتى الاّ اذا كان للمتعاونين مركز يلتقون عنده يصدرون عنه ويردون اليه

من اول المراكز التي التقت عندها القوى التي حاولت نشر الفكر في الشرق العربي مجلة المقتطف ، ويحسبك ان تطلع على الاعداد الاولى منها لتقتنع تمام الاقتناع ان الغاية التي توخاها صاحباها من ايجادها انما هي نشر احدث الافكار والمعلومات على اختلاف اصولها ومصادرها . وربما كانت الوسيلة لذلك في تلك الاعداد الاولى تعتمد على النقل والترجمة للمعلومات العلمية اكثر من اعتمادها على الانشاء والبحث . لكن للمقتطف عن ذلك من العذر ان التفكير الغربي لم يكن معروفاً يومئذ في مصر والشرق الا من طبقة قليلة محصورة جداً ، فوسيلة نشره انما تكون بنقل المعلومات التي يعتمد عليها والتي ادت ملاحظتها وترتيبها الى هذه العلوم الغربية التي نرى اليوم . كما ان هذه العلوم ذاتها لم تكن في اوربا كما هي اليوم . فان نصف القرن الذي مضى كان مملوءاً بالنشاط العلمي الى حد كبير

وظل المقتطف كمجلة يتقدم كما تقدمت واياه السنون . فبدأت فيه حركة الانشاء والبحث بعد سنوات قليلة وازدادت الاقلام التي تحرره تنوعاً وكثر الكاتبون فيه . ولما كانت الحركة الفكرية قد بدأت تأخذ بكثير مما في الغرب من معارف فقد نهضت حركة فكرية شرقية تحيي القديم من الادب والتفكير العربي وتعمل لبيان ان العرب في الماضي لم يكونوا اقل من الغربيين اليوم شأناً وان ادبهم كان في كثير من الاحيان ارقى من الآداب الغربية . وكما كانت مجلة المقتطف هي الميدان الاول الذي التقى عنده الكتّاب لنشر المعلومات والآراء والافكار الغربية ، كذلك كان احد الميادين لنهضة التفكير والادب العربي ، وان لم يختص بهذه الخصوصية بتلك . وانك لتقرأ فيه كثيراً من شعر العرب ومن الادب العربي كما تقرأ كثيراً من شعر المعاصرين ونثرهم

وظلت حركة معارضة التفكير والادب العربي الحديث بالتفكير والادب العربي القديم زمناً . ثم نشأت فكرة تراها ماثلة على صفحات المقتطف ايضاً . هذه الفكرة هي كيفية التوفيق في نفس اهل الشرق العربية بين ثمرات الحضارة العربية القديمة وبين الحضارة الاوربية الحديثة

من هنا نشأ تفكير جديد يرجع الى اوائل او آخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي ومن هنا بدأت الفكرة الاجتماعية الحديثة تشغل اذهان الكثيرين . فحدثت حركة المرحوم قاسم امين عن تحرير المرأة ، وقام الاستاذ الشيخ محمد عبده للتوفيق بين نظريات

العلم وقواعد الدين . وتناولت الصحف هذه وما اليها من المباحث الاجتماعية والفلسفية بالبحث والتمحيص . وكان للمقتطف في هذا الميدان حظ كبير . فكانت الرسائل والمباحث التي لا تتسع لها الصحف اليومية تنشر فيه . وهذه الرسائل ممتعة عادة لانها تجمع بين التفصيل والايجاز

وكمجلة حرة كان المقتطف ينشر على صفحاته الآراء المختلفة المتضاربة يأمل الوصول الى الحقيقة من طريق البحث . وفي ذلك الجهاد قضى خمسين سنة هي التي نحتفي اليوم بها . ولعل هذا الجهاد العلمي والفكري هو خير ما يفخر به اصحاب المقتطف من اعمال حياتهم . ولعل الدكتور صروف الذي انقطع للمقتطف منذ سنوات كثيرة يقضي نهاره وايامه عملاً للعلم ونشره وللمعارف واذاعتها — يشعر وهو في سنه ومكانته بما اداه من خدمة للفكر والاجتماع في الشرق العربي بجملته

سيداتي وسادتي

كنت اود ان اكون اكثر دقة في حديثي هذا عن المقتطف . لكن الحركة الافتتاحية الحاضرة التي تشغل الاذهان ولا تترك لامثالي الذين دخلوا ميدانها وقتاً كافياً للبحث والتفكير فيما سواها من المسائل تجعلني اعتذر اليكم مرة ثانية كما اعتذرت اليكم في اول كلمتي عن تقصيري في هذا الموقف . وليس لي الا كلمة واحدة اختم بها حديثي اليكم . ذلك ان اكبر عمل يؤديه الانسان في حياته هو خدمة الحقيقة بنشر العلم . ولقد قام المقتطف بحظ من ذلك عظيم . فله بذلك على كل قارئ من قراء العربية حق . واداء هذا الحق نحتفي اليوم بعيده الخمسيني آملين ان يحتفي ابناؤنا بعيده المئيني

قصيدة حافظ بك ابرهيم

شيخان قد خبرا الوجود وادركا ما فيه من طل ومن اسراب
واستبطنا الاشياء حتى طالعا وجه الحقيقة من وراء حجاب
خمسون عاماً في الجهاد كلاهما شاكي البراعة طاهر الجلباب
لا تعجبوا ان خضبا قلميهما وبياض شيبهما بغير خضاب
فلكل حسن حلية يزهى بها وأرى البراعة حلية الكتّاب
اني نظرت الى البراعة في يدي فحسبتها في القدر عود ثقاب